تفسير السعدي

@ 234 @ أنه قال لبني إسرائيل : ! 22 ! . ! 2 2 ! الكتاب العظيم ، المتمم للتوراة . ! 2 2 ! يهدي إلى الصراط المستقيم ، ويبين الحق من الباطل . ! 2 ! 2 بتثبيتها والشهادة لها ، والموافقة . ! 2 2 ! فإنهم الذين ينتفعون بالهدى ، ويتعظون بالمواعظ ، ويرتدعون عما لا يليق . ! 2 2 ! أي : يلزمهم التقيد بكتابهم ، ولا يجوز لهم العدول عنه . ! 2 2 ! . ^ (وأنزلنآ إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بمآ أنزل ا ولا تتبع أهوآءهم عما جآءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شآء ا لجعلكم أمة واحدة ول كن ليبلوكم في مآ آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى ا مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بمآ أنزل ا ولا تتبع أهوآءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض مآ أنزل ا إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد ا أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من ا حكما لقوم يوقنون) ^ يقول تعالى : ! 2 2 ! الذي هو القرآن العظيم ، أفضل الكتب وأجلها . ! 2 2 ! أي : إنزالا بالحق ، ومشتملا على الحق ، في أخباره ، وأوامره ، ونواهيه . ! 2 2 ! ، لأنه شهد للكتب السالفة ، ووافقها ، وطابقت أخباره أخبارها ، وشرائعه الكبار شرائعها ، وأخبرت به ، فصار وجودها مصداقا لخبرها . ! 2 2 ! أي : مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة ، وزيادة في المطالب الإلهية ، والأخلاق النفسية . فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به ، وحث عليه ، وأكثر من الطرق الموصلة إليه . وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين . وهو الكتاب الذي فيه الحكم ، والحكمة ، والأحكام ، الذي عرضت عليه الكتب السابقة . فما شهد له بالصدق ، فهو المقبول ، وما شهد له بالرد ، فهو مردود ، قد دخله التحريف والتبديل . وإلا ، فلو كان من عند ا ، لم يخالفه . ! 2 2 ! من الحكم الشرعي ، الذي أنزله ا عليك . ! 2 2 ! أي : لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق ، بدلا عما جاءك من الحق ، فتستبدل الذي هو أدنى ، بالذي هو خير . ! 2 2 ! أيه الأمم ! 2 2 ! أي : سبيلا وسنة . وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم ، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال ، وكلها ترجع إلى العدل ، في وقت شرعتها . وأما الأصول الكبار ، التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان ، فإنها لا تختلف ، فتشرع في جميع الشرائع . ! 2 2 ! تبعا لشريعة واحدة ، لا يختلف متأخرها ولا متقدمها . ^ (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) ^ فيختبركم ، وينظر كيف تعملون ، ويبتلى كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته ، ويؤتى كل أحد ما يليق به ، وليحصل التنافس بين الأمم . فكل

أمة تحرص على سبق غيرها ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : بادروا إليها ، وأكملوها ، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب ، من حقوق ا ، وحقوق عباده ، لا يصير فاعلها سابقا لغيره ، مستوليا على الأمر ، إلا بأمرين : المبادرة إليها ، وانتهاز الفرصة ، حين يجيء وقتها ، ويعرض عارضها ، والاجتهاد في أدائها ، كاملة على الوجه المأمور به . ويستدل بهذه الآية ، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها ، في أول وقتها . وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزي في الصلاة وغيرها من العبادات ، من الأمور الواجبة . بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات ، التي يقدر عليها ، لتتم وتكتمل ، ويحصل بها السبق . ! 22 ! الأمم السابقة واللاحقة ، كلهم سيجمعهم ا ، ليوم لا ريب فيه . ! 2 2 ! من الشرائع والأعمال . فيثيب أهل الحق والعمل الصالح ، ويعاقب أهل الباطل ، والعمل السيء . ! 2 2 ! هذه الآية هي التي قيل : إنها ناسخة لقوله : ! 2 2 ! . والصحيح : أنها ليست بناسخة ، وأن تلك الآية تدل على أنه صلى ا عليه وسلم مخير بين الحكم بينهم ، وبين عدمه ، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق . وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم ، فإنه يحكم بينهم بما أنزل ا ، من الكتاب والسنة . وهو القسط الذي تقدم أن ا قال : ! 2 2 ! . ودل هذا ، على بيان القسط ، وأن مادته هو ما شرعه ا من الأحكام فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط ، وما خالف ذلك ، فهو جور وظلم . ! 2 2 ! كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها . ولأن ذلك ، في مقام الحكم والفتوى ، وهو أوسع ، وهذا في مقام الحكم وحده . وكلاهما ، يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم ، المخالفة للحق ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : إياك والاغترار بهم ، وأن يفتنوك ، فيصدوك عن بعض ما أنزل ا إليك . فصار اتباع أهوائهم سببا موصلا إلى ترك الحق الواجب ، والفرض اتباعه . ! 2 2 ! عن اتباعك ، واتباع الحق ! 2 2 ! أن ذلك عقوبة عليهم و ^ (أنما يريد ا أن يصيبهم ببعض